

إشكالية قياس العدوانية

شلي ابراهيمي،

أستاذ محاضر «ب»- جامعة الجزائر 2

الملخص:

يطرح متغير العدوانية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية إشكاليات عدة باعتباره مفهوما غامضا تتعدد معانيه و تتداخل معه الكثير من المفاهيم و المصطلحات، و تنوعت و اختلفت النظريات المفسرة لماهيته و تحديد العوامل المؤدية له و كذا دراسة وسائله و غاياته حتى اعتبر من الموضوعات الخصب و المهمة في أدبيات علم النفس الحديث و صعب الاتفاق عالميا في ضبطه و ضبط المفاهيم المرتبطة به و بالتالي ما وجهة الباحثين النفسيين في تحديده و قياسه؟

Résumé :

problématique de mesure de l'agressivité

Le variable d'agressivité propose dans les sciences humaines et sociales plusieurs problématiques considéré comme un concept insertin contient plusieurs théorie d'interprétation, et précisé les facteurs qui provoque l'agressivité et l'étude des conséquences jusqu'à ce qu'il considéré comme des sujets fructifs et important dans la psychologie moderne, et difficile d'accord dans ca définition, pour suite, qu'elle est la directif des chercheures en psychologie dans ca définition et mesure ?

مقدمة :

تمثل العدوانية ظاهرة نفسية اجتماعية منتشرة في حياة الأفراد و المجتمعات فهو ملاحظ و معروف في سلوك الإنسان السوي و غير السوي، و في سلوك الأطفال و المراهقين و الكبار، و هو مفهوم غامض تتعدد معانيه و تتداخل معه الكثير من المفاهيم و المصطلحات، و تنوعت و اختلفت النظريات المفسرة لماهيته و تحديد العوامل المؤدية له و كذا دراسة وسائله و غاياته حتى اعتبر من الموضوعات الخصب و المهمة في أدبيات علم النفس الحديث، و التي هي بحاجة إلى مزيد من الدراسة و البحث و ذلك لعدة اعتبارات أهمها:

- أنها تمثل ظاهرة واسعة الانتشار و على جميع المستويات و الأصعدة.
- الحاجة لتحديد معالمها و مفاهيمها النظرية.
- تداخل العوامل و النظريات المفسرة للعدوانية.
- تداخلها مع عدة مصطلحات أخرى عالمية كالإرهاب و غيره.
- و سوف يحاول الباحث في هذا المقال التطرق لبعض المتغيرات المتعلقة بالظاهرة لبيانها وفهمها و كشف الغموض حول صعوبة قياسها.

1 - تعريف العدوانية Aggressivity:

1_1 - لغة:

أصل كلمة عدوانية من العدوان وهو الظلم الصراح، ويقال (عَدُوًّا وعدُوًّا وعداءً وعُدُوًّا، وعدُوًّا، وعُدُوًّا عليه) أي ظلمه والعداوة أي الخصومة والمباعدة (المنجد في اللغة، 1973، ص 492).

وعدوانيته نفرت الناس منه، وعدوان هجوم ظالم، ومنه قوله تعالى: «بل أنتم قوم عادون» (سورة الشعراء، الآية: 166) و عدائي نظر إليه نظرة عدائية. (أحمد العايد وآخرون، 1998، ص 828).
1 والعدوانية مصطلح لا تيني بمعنى (يمشي نحو)، (it do item). (خالدي، 2007، ص 119).

1_2 - اصطلاحا:

تعدد الدراسات في مجال العدوانية إلا أنه يظل واحداً من الموضوعات الأكثر تحدياً للدارسين بسبب الحيرة في وضع تعريف جامع مانع لها، فلقد تعددت وتنوعت التعريفات التي تناولته بالتفسير، فإطاره المرجعي متعدد لأنه ينتمي إلى كثير من العلوم كعلم النفس بفرعيه السوي والمرضي، وعلم الفسيولوجيا العصبي، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم، فالعدوانية على حد تعبير أنتوني ستور كأنه حقيقة تمزقت أوصالها من كثرة ما تعج به من تفسيرات ومفاهيم مختلفة لهذا اللفظ، ولقد أطلق باندورا (1978) Bandura على السلوك العدواني وصفا يصوره على أنه «غابة علم المعاني» لكثرة المفاهيم والنظريات التي تناولته وفيما يلي بعض اجتهادات الباحثين في تقريب ضبطه:

تعريف مأمون صالح (2008):

”هي التي يغلب على سلوكها العدوان والتدمير والتخريب وقد يقارب هذا المصطلح مصطلحا آخر هو الشخصية المضادة للمجتمع، أو الإجرامية، أو المنحرفة التي تنورط في ارتكاب الجرائم أو الأعمال الضارة للمجتمع والتي يخرق فيها القانون“. (مأمون صالح، 2008، ص 80).

تعريف بدوي (1997):

«ترمز إلى إيذاء الذات أو الغير أو ما يحل محلها من الرموز ويعتبر السلوك الاعتدائي تعويضا عن الحرمان الذي يشعر به الشخص المعتدي» (الحرني، 2003، ص 40).

تعريف جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفاي (1993):

«بأنها سلوك مدفوع بالغضب والكراهية، والمنافسة الزائدة ويتجه إلى الإيذاء أو التخريب، أو هزيمة الآخرين، وفي بعض الأحيان يتجه إلى الذات» (الحرني، 2003، ص 40).

تعريف الصيرفي (1990):

«الميل للاعتداء، والتشاجر والانتقام والمشاكسة، والمعاندة والميل للتحدي والتلذذ من نقد الآخرين، وكشف أخطائهم وإظهارهم بمظهر الضعف أو العجز، والاتجاه نحو التعذيب والتنغيص وتعكير الجو والتشهير وإثارة الفتن ويتميز بالنوبات الغضبية بصورها المختلفة المعروفة» (عن سعد، 2006، ص 17).

تعريف أسكالونا سييل (1986):

«العدوانية كأمر عام تظهر بأشكال مختلفة منها العض و الرفس، و الطعن، و القتل، والهجاء والسب، والتشهير، وشن الحروب، وحرب العصابات وغير ذلك، وليس من الضروري أن يتجه العدوان دائما على إنسان أو حيوان، فقد يتجه إلى موضوع علمي وقد يتجه إلى مسألة هندسية يشعر الإنسان أنها تتحداه، وقد يتجه إلى الطبيعة، أو إلى الأشياء بإتلافها أو غير ذلك» (أسكالونا، 1986، ص 8).

تعريف سعد المغربي (1987):

«العدوانية هي الميل للقيام بالعدوان وميل لفرض الشخص أفكاره ومصالحه على الآخرين، وقد يصل إلى التسلط في الجماعة» (سعد المغربي، 1987، ص 23).

تعريف علي محمد علي الديب (1996):

«يقصد بها الشعور الداخلي بالغضب والاستياء والعداوة، ويعبر عنها ظاهريا في صورة فعل أو سلوك ويقصد به إيقاع الأذى و الضرر لشخصه أو لشيء ما، كما يوجه أحيانا إلى الذات، وقد يظهر في شكل عدوان بدني أو عدوان لفظي، وقد يتخذ صور التدمير وإتلاف الأشياء، والعدوانية ترتبط بعدم التجاوب الانفعالي، وهو عدم قدرة الفرد على التعبير بحرية وتلقائية عن مشاعره تجاه الآخرين وخاصة المشاعر الايجابية وصعوبة قبول المودة والحب من الآخرين وصعوبة إعطائها» (الديب، 1996، ص 292).

يلاحظ من التعاريف السابقة لمفهوم العدوانية أنها تجمع بين المكونات الأساسية للإنسان (الفسولوجية و المعرفية و السلوكية و الانفعالية)، بمعنى أن العدوانية مفهوم يشمل ما هو فسيولوجي و معرفي سلوكي و انفعالي للقيام بالعدوان، أي أن السلوك العدواني والعنف ناتج للغضب و لدوافع و اعتقادات و ميول عدائية، وقد تقوم على بغض و احتقار الآخرين و ظلمهم، و كل ما سبق من المشاعر الداخلية و السلوكيات الظاهرة يمثل ظاهرة العدوانية بمفهومها الشامل، وقد أضاف كل من ميلر ودينفرز (1982) Miller and Dinver إلى أن هناك (05) محكات أساسية من خلالها تعرف العدوانية وتحدد وهي:

- 1- نمط السلوك.
- 2- شدة السلوك.
- 3- درجة الألم أو التلف الحاصل.
- 4- خصائص المعتدي.
- 5- نوايا المعتدي. (خولة، 2000، ص 186).

2 - المؤشرات المعرفية السلوكية للشخصية العدوانية (ملاح الشخصية العدوانية):

حاول العديد من الباحثين تحديد ملاح الشخصية العدوانية و في ذلك يرى مأمون صالح (2008) أن هذا النوع من الشخصية يتميز بالمنط المتعمق من المقاومة، والتأجيل والعناد ونقص الكفاءة، وترفض هذه الشخصية القيام بالمهام والأعباء الاجتماعية والعملية، وغالبا ما يفسدون جهود الآخرين بعدم أداء الجزء المكلفين به، ويشكون من أن الناس لا تفهمهم، ولا تقدرهم، وهم مجادلون، ويظهرون الحقد، والحسد لمن هم نابحون ومحظوظون... ويرفضون اقتراحات الآخرين الإيجابية...، وينتقدون السلطة التي تحكمهم. (مأمون صالح، 2008، ص ص 219-220).

ويصنف كيرولويس (2004) Kirolwiss صفات الشخصية العدوانية إلى:

أ-صفات عامة: وهي مواجهة كل ما يتطلب منه في الدراسة والعمل، والحياة الخاصة.

ب-صفات أساسية: التكتم، التحفظ، الثبات، المثابة.

ج-صفات ثانوية: مقاومة جدية إزاء الفشل والإرهاق.

وإضافة إلى الملاح المذكورة زاد سعد (2006) الصفات التالية:

- لهم اتجاه غير واقعي.
- لديهم فهم خاطئ عن أنفسهم والآخرين.
- تلقائيون في سلوكياتهم العدوانية.

- يتركزون حول أنفسهم بدلا من التركز حول المشكلة.
- لديهم سوء أو صعوبة تكيف مع الآخرين.
- متعصبون لأرائهم ضد الآخرين.
- علاقاتهم متشعبة بأشخاص كثيرين لديهم خصوصية.
- اتجاهاتهم وقيمهم تعصبية.
- يخلطون بين الأهداف والوسيلة.
- يميلون إلى التمرد على السلطة الأبوية والمدرسية.
- لديهم روح العدائية.
- لديهم ميول لاستفزاز الآخرين.
- يكرهون الأوامر الأسرية.
- يقاومون الثقافة والامتثال لها.
- يحاولون فرض شخصيتهم بالقوة والعدوان.
- لديهم اندفاع وتسرع في مواقفهم وآرائهم.
- لديهم أسلوب المجادلة مع الآخرين لفرض أنفسهم.
- يشعرون بالغضب سريعا وتغير ملامح وجوههم بسرعة.
- يتسمون بالاستخفاف والسخرية والتهكم بالآخرين.
- لديهم شكوك في الآخرين وعلاقاتهم.
- لديهم صعوبة في عقد علاقات اجتماعية مع الآخرين.
- لديهم عدم القدرة على تبادل المحبة مع الآخرين.
- يشعرون بالفخر عندما يخالفون الأنظمة والآداب العامة.
- يتسمون بالعناد.
- لديهم انخفاض في التحصيل الدراسي ومستوى الأداء الوظيفي.
- لديهم انعدام في مستوى الطموح.
- لديهم المماطلة في انجاز الأشياء التي يجب أداؤها.
- من سماتهم التهيج وعبوس الوجه والتهجم عندما يطلب منهم أن يؤديوا أعمالا غير مرغوبة لديهم.
- لديهم استياء من الاقتراحات المفيدة من الآخرين.
- لديهم دائما الانتقاد للناس الموجودين في مراكز السلطة بدون مبرر. (سعد، 2006، ص 44-46).

و أوضح التصنيف الدولي الثالث للأمراض النفسية (DSM III، 1987) ملامح الشخصية العدوانية، بضرورة توفر بعض المعايير التالية والتي لا تقل عن خمسة منها على الأقل لضمان وجود هذا الاضطراب:

- 1- المماطلة حيث التأخير في انجاز الأشياء التي يجب أدائها.
- 2- سرعة التهيج، والمجادلة وعبوس الوجه والتهجم عندما يطلب منه أن يؤدي أعمالا غير مرغوبة لديه.
- 3- يعتمد العمل ببطء، أو بدون اتفاق في المهام التي لا يريدتها.
- 4- يحتاج كثيرا دون تبرير بأن الناس تطلب أشياء غير معقولة.
- 5- يتجنب المسؤوليات بأن يتظاهر بالنسيان.
- 6- يعتقد أنه يؤدي عملا أفضل مما يظن الآخرون أنه صادق.
- 7- يستاء من الاقتراحات المفيدة من الآخرين لتحسين الإنتاج.
- 8- يتدخل في عمل الآخرين بعدم أداء ما يخصه من العمل.
- 10- دائم الانتقاد للناس الموجودين في مراكز السلطة بدون مبرر. (نقلا عن العقاد، 2001، ص106)

3 - قياس العدوانية:

قياس العدوان ليس بالأمر السهل البسيط، لأن الشخص العدواني في حياته العملية قد يكون شخصا مسالما في حياته العائلية، وإن ما يعتبره بعض الناس سلوكا عدوانيا قد لا يراه الفرد نفسه الذي يصدر عنه هذا السلوك عملا عدوانيا، ومن ناحية أخرى فإن الفرد يستطيع أن يخفي سلوكه العدواني حتى لا يبدو أمام الآخرين عدوانيا، وبالمثل فإن السلوك العدواني عند فرد ما لا يصدر عن نفس دوافع السلوك العدواني عند فرد آخر ولا شك أن هناك فرقا شاسعا بين سلوك عدواني لفرد يريد أن يؤكد رجولته بهذا السلوك، وبين سلوك عدواني لفرد آخر ينتقم لنفسه بهذا السلوك من إساءة فرد آخر. (أبو قورة، 1996، ص 87).

ويمكن قياس العدوانية حسب ما ذكره (سعد، 2006) بالملاحظة المباشرة، والمقابلة الشخصية، والمراقبة الذاتية ودراسة الحالة (سعد، 2006، ص53)، وأضاف على ذلك (أبو قورة، 1996) بالاستخبارات والاختبارات الإسقاطية لقياس عدوانية الأفراد، وذكر عبد الخالق (1993) تقديرات الآخرين (كآباء والأقران والمعلمين) كتحديد مهم لقياس العدوانية، ولكن في حالة اختيار الوالدين كمقدر لسلوك ابنه فإن طبيعة القياس في هذه الحالة تتعلق بموضوع شائك بالنسبة

لهم ولأطفالهم مما قد يعتبروه وصمة لهم أن يكون أطفالهم عدوانيين وهذا ما سيرفضه كثير منهم، مما سيكون له أكبر الأثر في موضوعيتهم، أما بالنسبة للزملاء والأقران فغالباً ما يحدث تشويه في استجاباتهم، وذلك خوفاً من أن ذلك قد يضر زملائهم الآخرين أو قد يكون له عواقب وخيمة عليهم أو لخوفهم من معرفة زملائهم بذلك أو أن الصداقة الحميمة بينهم قد تمنعهم من التصريح بذلك، لذا يصعب الاستعانة بهم في تقدير سلوك بعضهم البعض.

أما الاستخبارات كأداة من طرق قياس السمات أو الأبعاد الأساسية للشخصية فهو نوع من المقابلة المقننة، ويتكون من مجموعة من الأسئلة أو العبارات التقريرية المطبوعة غالباً، ولكن يجب عليها المسؤول أو المفحوص بنفسه (بالكتابة غالباً ولكن شفويا أحياناً)، وفي ضوء احتمالات أو فئات للإجابة محددة سلفاً مثل (نعم، لا، موافق) في موقف قياس فردي أو جمعي، وتدور أسئلة الاستخبار حول جوانب وجدانية انفعالية أو خاصة بالسلوك في المواقف الاجتماعية، ويجب عليها المفحوص على أساس معرفته لمشاعره وانفعالات وسلوكه الماضي أو الحاضر، وذلك بهدف الكشف عن جوانب معينة لدى الفرد أو الحصول على معلومات خاصة عن شخصية فرد أو مجموعة من الأفراد، وتصحح الإجابة وتفسر بطريقة موضوعية سلفاً، وقد يكون الاستخبار الواحد أحادياً (يقيس سمة واحدة) أو متعدد الأبعاد (يقيس مجموعة من السمات في نفس الوقت). (أبو قورة، 1996، ص ص 21-22).

و تجمع جهات النظر المختلفة على إن استخدام الاستخبارات من أسير طرق قياس العدوان، ولقد استفاد عدد كبير من الباحثين من الاستخبارات لقياس الحالات المؤقتة من العدوان، والتي تثار تجريبياً، واستخدم هؤلاء الباحثين مجموعة من الأسئلة يطلب الإجابة عليها باختبار إجابة واحدة من بين ستة إجابات توضع في نهاية كل سؤال، ومن الأمثلة على ذلك هذا السؤال «ما مقدار سرورك في التعامل مع الآخرين؟» وغالباً ما يختار أكثر الأفراد العدوانيين صيغ الإجابات المتطرفة مثل «يزعجني للغاية أو يزعجني تماماً». وتوحي الدراسات بأن الدرجات على هذا النوع من المقاييس من حيث حساسيته في تقدير «الضيق» يعتبر بالفعل صادقا، كما أن هناك مجموعة من الاستخبارات تستطيع قياس درجة العدوانية لدى الشخص كبعد ثابت من أبعاد الشخصية، ولكن لم تعرف حساسيتها للاستثارة العدوانية المفاجئة، وقد وضع سيرز، Sears مجموعة من المقاييس المنفصلة لقياس المظاهر الاجتماعية من العدوان (مثال: الضرب أحيانا هو السبيل الوحيد لإنهاء الجدل)، ومقاييس العدوان الاجتماعي social aggression (مثال: يجب تشديد العقوبات على كل من يحاول أن يخرق نظاماً أو تقليداً)، ومقاييس للعدوان على الذات Self-aggression (مثال: يتنابني أحيانا الإحساس بأنني استحق عقاباً أكثر على ما أرتكب من أخطاء) كذلك وضع باص و دروكي Buss and Durkee مجموعة متشابهة من المقاييس

قامت على التحليل العاملي، و تتضمن مقاييس لعاملي العداء Hostility (أي مشاعر عامة بالكرهية والاستياء من الآخرين)، وعامل العدوان (أي الميل إلى القيام بسلوك عدواني مباشر، أو هجوم لفظي أو جسدي مباشر على الآخرين). (نقلا عن أبو قورة، 1996، ص 90) إلا أنه للاستخبارات عدة انتقادات في قياس العدوانية ذكرها عبد الرحمن سيد سليمان و أهمها أن الفرد يستجيب للمقياس بطريقة معينة بحيث يقدم فيها نفسه في صورة مقبولة وجذابة ، وذلك حتى يحدث انطباعاً حسناً وأثراً جيداً من جانب مطبق المقياس، وتسمى هذه العملية بالتأثير الواجهي أو الدفاعي وهي جهد متعمد لدى الفرد لتقديم صورة محببة عن نفسه وحسنة التوافق، فتأتي استجابته متمشية مع المرغوبة الاجتماعية. لهذا يعتمد على تقديرات الآخرين عند قياس العدوانية، ولا يعتمد على التقارير الذاتية لأن ذلك يبعدها عن تزييف استجابات المفحوصين التي تتمشى مع المرغوبة الاجتماعية، ولهذا الطريقة عدة مزايا منها ما يلي :

- 1- أنها تقضي على عدم قدرة الشخص في التعبير عن اتجاهاته وأفكاره وسلوكه.
- 2- تقضي على مقاومة الأفراد في التحدث عن أنفسهم بصراحة أو الاستجابة لعبارات المقياس، فهي لا تتأثر برغبة الشخص أو عدم رغبته في التحدث عن نفسه. كما أنها تقضي على التزييف في استجابات المفحوصين والناجمة عن الميل للمرغوبة الاجتماعية.

خاتمة:

و في الأخير وحتى تأتي نتائج القياس على قدر كبير من الموضوعية يجب مراعاة نقطتين رئيسيتين على قدر كبير من الأهمية هما :

النقطة الأولى:

أنه لكي يتاح قدر كبير من الصدق والموضوعية لا بد من الاستعانة بأكثر من مقدر لسلوك الآخر كالوالدين من جهة و المدرسين و الرفاق و غيره ممن يتعاملون مع الحالة.

النقطة الثانية:

إن تقديراتنا إذا كانت من محض تفسيراتنا وتأويلاتنا وفهمنا للأحداث، فبالطبع لن يحدث بين المقدرين الاتفاق المستقل في الوصف ، فهذه التفسيرات تسمح لجوانبنا الذاتية أن تلعب دوراً في ذلك التقدير ، فإذا تدخل المقدرون وتجاوز البعض منهم حدود مهمتهم في عملية التسجيل والذي يقوم عليها الوصف الدقيق للظواهر وتحويلها إلى مستوى التفسير سيصبح كثير من التقارير لا يعتد بها إذا تضمنت الكثير من آراء المقدرين الشخصية وطرقهم في فهم الأحداث بدلاً من أن تتضمن وصفاً دقيقاً للأحداث ذاتها ، ولذلك يتم تحديد السلوك المراد تقديره بالضبط وأي

أنواع السلوك التي سوف يتم تقديرها، إلى جانب تعريفها إجرائياً وكذلك الأبعاد الفرعية حتى يسهل على المختص أو المقدر فهم ما يقوم بتقديره، هذا إلى جانب صياغة عبارات محددة واضحة في لغة سهلة ليس فيها لبس أو غموض.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم
2. أبو قورة خليل (1996). سيكولوجية العدوان. القاهرة: مكتبة الشباب الهيئة العامة لقصور الثقافة.
3. أحمد العايد وآخرون (1998). المعجم العربي الأساسي. تونس: المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم.
4. إسكالونا سيبييل (1986). عدوان الأطفال (ترجمة عبد المنعم المليجي)، الطبعة 4، سلسلة دراسات سيكولوجية رقم 19. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
5. الحربي عواض بن محمد عويض (2003). العلاقة بين مفهوم الذات والسلوك العدواني لدى الطلاب الصم دراسة مقارنة بين معهد و برنامجي الأصل بالمرحلة المتوسطة بالرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.
6. الديب محمد علي (1996). بحوث في علم النفس. الجزء الثاني. مصر.
7. العقاد عصام عبد اللطيف (2001). سيكولوجية العدوانية و ترويضها منحي علاجي معرفي جديد. القاهرة: دار غريب.
8. المنجد في اللغة و الأعلام (1973). الطبعة 26. بيروت: دار المشرق.
9. خالد خيرة (2007). العنف المدرسي و محدثاته كما يدركه المدرسون و التلاميذ دراسة ميدانية في ثانويات مدينة الجلفة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر.
10. خولة أحمد يحي (2000). الاضطرابات السلوكية و الانفعالية. الأردن: دار الفكر للطباعة و النشر.
11. سعد المغربي (1987). سيكولوجية العدوان و العنف، مجلة علم النفس، الهيئة العامة للكتاب، العدد 11، مصر.
12. سعد بن محمد آل رشود (2006). فاعلية برنامج إرشادي نفسي في خفض درجة السلوك العدواني لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.
13. مأمون صالح (2008). الشخصية بناؤها و تكوينها أنماطها و اضطراباتها. الأردن: دار أسامة للنشر